الدرس الثامن عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أجزل الله له الأجر والثواب في كتابه «التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» :

بابٌ الشفاعة وقول الله عز وجل : { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ } [الأنعام:٥١] .

****

هذا بابٌ عقده المصنف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في الشفاعة ؛ أي : في بيان حقيقة الشفاعة والمثبَت منها والمنفي في كتاب الله عز وجل ، وسوْق الدلائل والشواهد على ذلك من كتاب الله تبارك وتعالى . وبادئ ذي بدء بين يدي هذا الموضوع العظيم نتوجه إلى الله تبارك وتعالى بالسؤال الذي سبحانه وتعالى بيده أزمة الأمور ومقاليد السماوات والأرض أن يجعلنا أجمعين ممن يشفع لهم النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، اللهم اجعلنا ممن يشفع لهم نبيك محمد صلوات الله وسلامه عليه ،واجعله شفيعاً لنا يوم لقائك يا ذا الجلال والإكرام .

وموضوع الشفاعة موضوع عظيم وكبير جداً وبالغ الأهمية ، والمسلم بحاجة فعلاً إلى أن يعي هذا الموضوع وأن يفهمه فهماً صحيحاً ، لأن من قديم الزمان وفي حديثه ضلَّ خلق لا يحصيهم إلا الله تبارك وتعالى في باب العبادة صرفاً لها لغير الله تبارك وتعالى تحت مسمى الشفاعة ، وهذا من الأخطاء الفادحة التي تُخِل بديانة المرء وإخلاصه وتوحيده لربه تبارك وتعالى ؛ فيأتي أموراً يظنها شفاعة وهي تبطل نيله للشفاعة وتُبطل كونه من أهل الشفاعة ، وهو يفعلها ظاناً أنه بفعله لها ينال بذلك شفاعة الشافعين .

فالأمر لاشك أن له أهمية بالغة ؛ والمصنف رحمه الله أتى به في ثنايا الأبواب التي ساقها رحمه الله تعالى لذكر براهين التوحيد وشواهده ودلائله وإبطال الشرك بالله تبارك وتعالى ، في ثنايا هذه الأبواب عقد رحمه الله تعالى هذا الباب ((باب الشفاعة)) لماذا ؟ لأن خلْقاً من الناس قديماً وحديثا أخذوا يقدِّمون قرباتٍ وعباداتٍ والتجاءاتٍ إلى غير الله تبارك وتعالى خضوعاً وذلاً ودعاءً ورجاءً ورغبةً وطمعاً وغير ذلك يقدِّمون هذه لغير الله ويقولون "نحن نفعل ذلك من أجل الشفاعة ، من أجل أن يكونوا شفعاء لنا عند الله" !! وقد قال الله سبحانه وتعالى في القرآن عن الكفار

المشركين عبَدة الأوثان: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨] ، فسمى تبارك وتعالى فعلهم هذا شركاً به سبحانه وتعالى ونزَّه جل وعلا نفسه عنه . وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر:٣] ؛ يتخذون الأولياء الأنداد الشركاء إذا قيل لهم ما السبب؟ لماذا تفعلون ذلك؟ قالوا من أجل أن يقربونا إلى الله ، من أجل أن ننال نصراً عزاً فلاحاً فوزاً. ويقول الله جل وعلا ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأحقاف:٢٨] لاحظ ﴿ قُرْبَانًا آلِهَةً ﴾ يعني يتخذون آلهة يزعمون أنها تقربهم إلى الله وتدنيهم من الله تبارك وتعالى .

فإذاً تحت هذا المسمى «الشفاعة» دخلت أنواع من الضلالات وصنوف من الشركيات والتعلقات الباطلة والالتجاءات إلى المقبورين والموتى ؛ سواءً من الأنبياء أو الأولياء أو غيرهم يلتجئ إليهم ، يدعوهم ، يذلُّ بين يديهم ، يناجيهم ويخاطبهم ، يتقرب لهم وإذا قيل له ماذا تصنع ؟ أيُّ شيءٍ تفعل ؟ قال "هذا شفيع لي عند الله وأن أطلب منه الشفاعة" ، والواقع أنه اتخذه شريكاً مع الله ونداً لله؛ يدعوه ويلتجئ إليه ويخضع له ويصرف له أنواعاً من العبادة.

إذاً الأمر حقيقةً جدير بالانتباه حتى لا يقع الإنسان في الزلل ولا يقع في الانحراف بسبب عدم فهمه لحقيقة هذا الأمر وحقيقة الشفاعة ، وعدم تمييزه بين الشفاعة والمثبتة والشفاعة المنفية . وأنت عندما تقرأ القرآن تجد في آيات من القرآن أُثبتت الشفاعة ، وتجد في آيات من القرآن نُفيت الشفاعة ، وسيمر علينا هذا وهذا ، تجد آيات في القرآن الكريم أثبتت فيها الشفاعة ، وآياتٍ أخرى نُفيت ؛ إذا كان الأمر كذلك ثمة في القرآن شفاعة مثبتة وشفاعة منفية لابد أن يعرف المسلم ما هي الشفاعة المثبتة ؟ وما هي الشفاعة المنفية ؟ يعرف الشفاعة المثبتة حتى يأتي بهذا الأمر على بابه الصحيح ومسلكه القويم ، ويعرف الشفاعة المنفية حتى يحذر من أن يقع في هذه الشفاعة الباطلة الشركية المحرمة التي نفاها القرآن وأبطلها في مواضع كثيرة من كتاب الله سبحانه وتعالى .

والمصنف رحمه الله لما عقد هذه الترجمة كعادته أخذ يسوق الدلائل والشواهد على ذلك من القرآن الكريم ؛ أورد أول ما أورد قول الله سبحانه : ﴿ **وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ** ﴾ [الأنعام:٥١] ؛ والخطاب هنا لنبينا عليه الصلاة والسلام ، والنذارة : هي الإعلام بأسباب المخافة وأسباب العقوبة والتخويف من ذلك . والضمير في قوله ﴿ بِهِ ﴾ به عائدٌ إلى القرآن ؛ أي أنذرهم بالقرآن .

قال: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ ذكر جل وعلا من ينتفعون بالنذارة ويستفيدون منه ؛ وهم من جمعوا بين وصفين ذكروا في هذه الآية الكريمة ، مع أن القرآن نذارة للعالمين ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[الفرقان:١] ، القرآن نذارة للعالمين لكن خُصَّ هؤلاء أهل هذين الوصفين بالنذارة ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ لأنهم أهل الانتفاع ، وما سواهم القرآن نذراة له لكنه لا ينتفع به ولا يستفيد منه ، تبلغه نذارة القرآن لكنه لا ينتفع . فإذاً خُصَّ هؤلاء أهل هذين الوصفين بذلك لأنهم أهل الانتفاع بما في القرآن من ذكرى ، بما فيه من نذارة ، بما فيه من تهديد وتخويف ، بما فيه من وعد ووعيد ؛ هم الذين ينتفعون .

ذكَر لهؤلاء الذين ينتفعون بما في القرآن من نذارة ووعد ووعيد وترغيب وترهيب وصفين :

- الأول : أنهم يخافون الحشر؛ ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ ؛أي هم على ذكر وعلى عِلمٍ بالبعث والنشور والجزاء والحساب والوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى ، وعندهم إيمان وإقرار بذلك ، وهذا الخوف من الحشر والوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى يدعوهم إلى إصلاح أحوالهم وتهيئة أنفسهم وتزكية قلوبهم والانتفاع بما يأتيهم من تذكير ونذارة ونحو ذلك .
- والصفة الثانية قال : ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ ؛ وهذا فيه تنبيه على إخلاصهم وتوحيدهم لله تبارك وتعالى . ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ ﴾ أي الله ، والمراد «من دونه» : أي من دون إذنه تبارك وتعالى لأن الأمر له وبيده وتحت تصرفه سبحانه ﴿ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ ؛ ليس لهم من دونه ولا شفيع أي : ليس هناك شفيع ولا ولي إلا بإذن الله سبحانه وتعالى وأمره جل في علاه . وهذا فيه إخلاص هؤلاء ، يعرفون أن الأمر بيد الله وأنه ملْكُ الله وأنه تحت تدبير الله وتصريفه فلا يلجئون إلا إليه ولا يطلبون إلا منه ولا يدعون إلا إياه ولا يتوكلون إلا عليه؛ فهم أهل الإخلاص والتوحيد ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ .

قال رحمه الله تعالى :

وقوله : { قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا } [الزمر:٤٤] .

****

قال رحمه الله: وقوله ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ قل أيها النبي لأولئك الذين اتخذوا الأنداد والشركاء مع الله زعماً منهم أنهم اتخذوهم كذلك شفعاء لهم عند الله تبارك وتعالى ؛ قل لهم لله الشفاعة جميعا ، ومعنى ﴿لِلَّهِ﴾ اللام هنا يقول أهل العلم لام الملك ، «لله» أي ملكا ، الشفاعة ملك الله ، الشفاعة لله أي الشفاعة ملك الله سبحانه

وتعالى ، ولا يمكن أن يشفع أحد إلا بإذن المالك ، أن يأذن له ، مهما كانت منزلته ومكانته وفضله ودرجته لا يمكن أن يشفع إلا إذا أذِن الله له ، ولا يمكن أيضا أن يُشفع إلا لمن رضي الله سبحانه وتعالى قوله وعمله. فالشفاعة ملكٌ لله جل في علاه .

فإذاً قوله جل وعلا ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي أن مثلما أن السماوات والأرض ملك لله جل وعلا فالشفاعة كذلك ملك له .

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي ستقفون بين يدي الله تبارك وتعالى ، ويوم الوقوف بين يديه يتبين لكم ضلالكم وكفركم وشرككم وتعلقاتكم الباطلة ، لأن السياق جاء في الرد على المشركين الذين يتخذون الأنداد والشركاء مع الله تبارك وتعالى زعماً منهم أنها تشفع لهم عند الله ، لأنه جاء في الآية التي قبلها قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ﴾ أي هؤلاء الذين يدعُون غير الله ويستغيثون بغير الله ويلتجئون إلى غير الله اتخذوا من دون الله شفعاء؛ أي : دون أمره ودون إذنه تبارك وتعالى ، وأيضاً تعلقوا بهم دعاءً ورجاءً وسؤالًا وطلباً ﴿ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ يعني هؤلاء الذين اتخذوهم أولياء ليس بيدهم ملكٌ لشيء؛ لا لأنفسهم ولا لغيرهم ، فالأمر كله بيد الله تبارك وتعالى وملكٌ له سبحانه . فالشفاعة ملك لله .

وفي ضوء ذلك ؛ إذا قال قائل : إذا أردت أن يكون الملائكة الأنبياء النبي الكريم عليه الصلاة والسلام شفيعاً وشفعاء لي يوم القيامة ما الطريقة الصحيحة ؟ وما السبيل الصحيح ؟ وقد سمعنا قول الله ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ الشفاعة لله ملكٌ له ، لا يشفع أحد إلا بإذنه ، ولا يُشفع أيضاً إلا لمن رضي الله قوله وعمله ؛ فإذاً من أراد أن يشفع له الأنبياء أن يشفع له الأولياء أن يشفع له الملائكة ما الذي يصنعه ؟ ما الذي يفعله حتى ينال هذه الشفاعة ؟ تأتيك الأجوبة على ذلك من خلال النصوص والأدلة القادمة لكنني ألخص لك الجواب بين يدي ما سيأتي :

- ينال ذلك أولاً بالإخلاص لله ؛ يخلص دينه لله ، لا يدعو إلا الله ، لا يسأل إلا الله ، لا يستغيث إلا بالله ، لا يصرف شيئا من العبادة إلا لله ، ولهذا سيأتي معنا في الحديث أن أبا هريرة سأل النبي عليه الصلاة والسلام قال «مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟» أي من أحظاهم ؟ من أولاهم ؟ من أجدرهم بشفاعتك يوم القيامة؟ قَالَ : ((مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)) ؛ فهذا أساسٌ لا تُنال الشفاعة إلا به ؛ أن يخلص المرء دينه لله، لا يسأل إلا الله لا يستغيث إلا بالله لا يطلب المدد والعون إلا من الله تبارك وتعالى .

■ الأمر الثاني : أن يتبع النبي عليه الصلاة والسلام ويسير على نهجه ويلزم هديه ويقتدي بسنته صلوات الله وسلامه عليه .

ثم في باب الدعاء إذا أراد أن يكون النبي عليه الصلاة والسلام شفيعاً له أو الملائكة أو نحو ذلك فإنه يطلب ذلك من الله ، بحيث يقول في دعائه : اللهم اجعل نبيك محمد صلى الله عليه وسلم شفيعاً لي ، اللهم مُنَّ عليَّ بشفاعته ، اللهم اجعلني ممن يشفع لهم نبيك عليه الصلاة والسلام .

ما الفرق يا إخوة بين هذين الدعائين ؛ قائل يقول في دعائه : اللهم شفِّع في نبيك ، وآخر يقول في دعائه : يا رسول الله اشفع لي . ماذا تجدون فرق بين هذين الدعائين ؟

الفرق بينهما كالفرق بين التوحيد والشرك ؛ الأول أخلص لله «اللهم» يسأل الله يضرع إلى الله يلح على الله يرجو الله يطمع فيما عند الله يسأل الله لأن الأمر ملك لله ، (اللهم) يقول يا رب لأن الأمر بيده لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ولا يُشفع إلا لمن رضي الله قوله وعمله ، فهو ملك لله ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ ، فهو يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى يقول : اللهم شفِّع في نبيك، اللهم اجعله شفيعا لي ؛ فهذا مسلكٌ صحيح قائم على التوحيد والإخلاص . أما أن يقول القائل يا ملائكة الله اشفعي لي مثلا أو يا نبي الله اشفع لي أو يا أولياء الله أو نحو ذلك هذا دعاء لغير الله والتجاء إلى غير الله وطلب من غير الله . يجب أن يعرف المسلم الفرق بين هذا وهذا؛ الشفاعة ملكٌ لله فلا تُطلب إلا من الله هو الذي يملكها ، فإذا أراد أن يشفع له الأنبياء أو الأولياء أو الملائكة أو الصالحين فليطلب ذلك من الله سبحانه وتعالى ، وليلجأ في ذلك إلى الله سبحانه وتعالى .

إذاً هذه الآية ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ تحتها من الفقه العظيم فيما يتعلق بالشفاعة وفهمها ما تزول به أباطيل أهل الباطل ، وأيضاً ما يتحقق به الصفاء في الاعتقاد والإخلاص لله وحُسن الالتجاء إليه سبحانه وتعالى .

قال رحمه الله :

وقوله : { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } [البقرة:٢٥٥] .

****

وقوله : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ ؛ وجاء هذا في آية الكرسي التي هي أعظم آية من كتاب الله ، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ .

وآية الكرسي كما نعلم هي أعظم آية في القرآن ، أُخلصت لتقرير التوحيد وبيانه واجتمع فيها من أدلة التوحيد وبراهينه ما لم يجتمع في أي آية أخرى ؛ ولهذا جاء في الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لأبيّ بن كعب

-وهو من كبار قرَّاء الصحابة وحفَّاظ القرآن الكريم- قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ((يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟)) قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟)) لما أعاد عليه النبي عليه الصلاة والسلام السؤال نفسه مرة ثانية فهِم من ذلك أنه إذنٌ له بالاجتهاد في الأمر والتحري ، فقال في المرة الثانية «قُلْتُ: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}» قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: ((وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ))؛ يعني هنيئاً لك هذا العلم الذي أكرمك الله به .

انتبه هنا لما قال النبي عليه الصلاة والسلام لأبي ((يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟)) كم عدد الآيات التي في القرآن ؟ أكثر من ستة آلاف آية كلها يحفظها ؛ إذاً لما سأله أي آية معك من كتاب الله أعظم ؟ أي من هذا العدد الكبير – أكثر من ستة آلاف آية – ليس عدداً قليلا من الآيات . ثم أيضا لاحظ ملاحظة ثانية ؛ لم يحدد له مئة آية مثلا أو خمسين آية وقال أي آية فيها أعظم ؟ وأيضاً الجواب مطلوب في الوقفة نفسها؛ ما قال له مثلاً فكر أسبوع أو أسبوعين أو شهر أو شهرين وأجب ، الجواب مطلوب في الوقفة نفسها ، ربما لو قال له فكر شهر وهات الجواب ينظر بتأمل وتدبر للآيات ويقارن إلى آخره ، لكن من أكثر من ستة آلاف آية وفي نفس الوقفة يقول آية الكرسي ؛ هذا علم عظيم . وأيضا من ناحية أخرى : إدراك من هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم لمكانة التوحيد ، وإذا قيل كيف وصل مثلاً أبي بهذه السرعة إلى هذه الآية ؟ الجواب لأنهم على علم بمكانة التوحيد ومنزلته وأنه أعظم شيء في القرآن الكريم ، والقرآن يتفاضل بتفاضل المعاني والدلائل التي فيه ، فوجد بفقهه وفهمه أن هذه الآية هي أكثر آية قررت التوحيد وبيَّنته وذكرت أدلته وشواهده وبراهينه ، آية الكرسي وحدها فيها أكثر من عشرة براهين على التوحيد ، وفيها خمسة أسماء حسنى لله ، وفيها أكثر من عشرين صفة لله تبارك وتعالى ، وفيها من معاني التوحيد شيء كثير لم يجتمع في أي آية أخرى من القرآن الكريم وإنما جاء مفرقاً في آيات .

فالشاهد من ضمن معاني التوحيد ودلائله في هذه الآية الكريمة قول الله سبحانه ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، قال قبلها ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ معبود بحق ولا معبود بحق سواه ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ؛ الشفاعة ملك له ولا يمكن أن يشفع أحد عنده إلا بإذنه .

هذا جاء لإبطال عقيدة باطلة في الشفاعة مضى عليها أهل الشرك ؛ الشفاعة يعتقدون فيها مثل ما يمارس الناس مع العظماء والملوك والرؤساء تجد أن مثلاً الوزير أو مثلاً المسئول الكبير يدخل على الرئيس أو على الزعيم أو على كذا ويستغل جاهه ومكانته ويفرض أشياء ويطلب أمور ويستجاب له فيها لمكانته ؛ فيشفع ابتداء بدون أن يؤذن له ، ويدخل ابتداء بدون أن يطلب إذن ، يستغل جاهه وقوته ومكانته ويدخل ويقول نريد كذا ونطلب كذا ويستجاب له . فكانوا يعتقدون فيمن اتخذوهم آلهة مثل هذا المعتقد أنهم يشفعون عند الله لمن شاءوا ومتى شاءوا

وبدون إذن من الرب سبحانه وتعالى ؛ فجاءت آيات كثيرة في القرآن تُبطل ذلك، منها قوله تعالى ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ أي : لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه ، والمراد بالإذن: أي الإذن الكوني القدري ، أن يأذن له تبارك وتعالى فيشفع .

ونبينا عليه الصلاة والسلام كما سيأتي معنا في الحديث يوم القيامة إذا جاء الناس إليه وطلبوا منه أن يشفع لهم عند الله ماذا يصنع ؟ يخر ساجداً لله سبحانه وتعالى ويحمده بمحامد ثم يقول الله له : ((يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه)) ؛هذا إذن له بالشفاعة ((واشفع تشفَّع)) لا يشفع ابتداءً وإنما ينتظر الإذن ويسجد لله ويدعو الله ويثني على الله ثم يأتيه الإذن فيشفع ، فلا شفاعة إلا بإذن الله سبحانه وتعالى.

إذاً قوله ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ فيه إبطالٌ لما يعتقده أهل الشرك والضلال في معبوداتهم وآلهتهم التي اتخذوها من دون الله يزعمون أنها تشفع لهم عند الله تبارك وتعالى .

قال رحمه الله :

وقوله : { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم:٢٦] .

****

ثم أورد رحمه الله تعالى هذه الآية الكريمة : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ [النجم:٢٦] ؛ «كم» هذه تأتي للتكثير أي : عددٌ لا يحصيه إلا الله كثرةً من الملائكة في السماوات .

﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ﴾ أي لا تنفع ولا تفيد شيئاً إلا بشرطين ما هما ؟

قال : ﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ .

- الشرط الأول : إذن الله للشافع؛ ﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ ﴾ هذا شرط يتعلق بالشافع ، فلا يشفع عند الله إلا بإذنه .
- والشرط الثاني يتعلق بالمشفوع له ﴿ وَيَرْضَى ﴾ أي عن المشفوع له ، والله سبحانه وتعالى لا يرضى إلا عن أهل التوحيد وأهل الإخلاص لله تبارك وتعالى .

ولهذا كما قال أهل العلم : في باب الشفاعة ثلاثة أمور مترتب بعضها على بعض فهمها يحقق للعبد السلامة في هذا الباب ويسلَم بإذن الله تبارك وتعالى من الباطل :

❖ الأمر الأول : لا شفاعة لأحد إلا بإذن الله ؛ لا يمكن أحد أن يشفع عند الله إلا بإذن الله .

❖ والأمر الثاني : لا شفاعة إلا لمن رضي الله عنه؛ ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨] .

❖ الأمر الثالث : ولا يرضى جل وعلا إلا عن أهل التوحيد ، أما أهل الشرك بالله سبحانه وتعالى لا تنفعهم شفاعة الشافعين ، حتى لو حصلت شفاعة ولو كانت من أقرب قريب لا تنفعهم ولا تفيدهم لأن أحد الشروط منتفي وهو الرضا عن المشفوع له . وخذ عبرةً وعظةً في هذا الباب بما خرَّجه الإمام البخاري في صحيحه أن إبراهيم الخليل عليه السلام يلقى أباه يوم القيامة فيقول له : «أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ تَعْصِنِي ، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ»، لكن هل تفيد هذه الكلمة يوم القيامة ؟! فيتوجه إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الرحمن إلى الله، والأمر يتعلق بمن ؟ بوالده ،فيتوجه إبراهيم الخليل إلى الله سبحانه وتعالى فَيَقُولُ : «يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟» يطلب شيء من الله ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، ينظر إلى أبيه وإذا به على صورة ذيخ ، –والذيخ: هو ذكر الضباع، ملطخ بدمه– فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ» .

فالشفاعة لا تكون إلا بإذن الله ، ولا تكون إلا لمن رضي الله عنه رضي الله قوله وعمله ، والأمر الثالث الله لا يرضى إلا عن أهل التوحيد . أما من لقي الله مشركا فإنه لا تنفعه شفاعة الشافعين .

قال رحمه الله :

وقوله : {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سبأ:٢٢-٢٣] .

قال أبو العباس رحمه الله : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة ، فبيَّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال : {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء:٢٨] . فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده – لا يبدأ بالشفاعة أولا– ثم يقال له : "ارفع رأسك ، وقل يُسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع" . « وقال له أبو هريرة رضي الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : " من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه » . فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله . وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص ، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أُذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود . فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . انتهى كلامه .

****

ثم أورد رحمه الله قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣] ؛ هذه الآية فيها إبطالٌ لكل ما يتعلق به من يدعو غير الله ، وقطعٌ لعلائق الشرك ، والأمور التي دفعت أناساً وأناساً إلى التعلقات الشركية التي ما أنزل الله تبارك وتعالى بها من سلطان .

فيقول الله جل وعلا لنبيه ﴿قُلِ﴾ أي أيها النبي لأولئك الذين يدعون غير الله من الملائكة والأنبياء والأشجار والأحجار وغيرها قل لهم : ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أياً كانوا ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ ؛ هذه الآية أو هذا السياق كما قال أهل العلم قطعت شجرة الشرك من عروقها واجتثتها من أصولها ولم تُبقِ لمشركٍ متعلَّق ، لأن من يُدعى ويلتجأ إليه ويطلب منه يستحق أن يُدعى إذا كان متصفاً بإحدى صفاتٍ أربع ؛ جاء نفيها مرتبةً حسب الأعلى منها في هذه الآية الكريمة، فلم يبق لمشرك متعلق .

الصفة الأولى : أن يكون مالك في هذا الملك السماوات والأرض ولو شيئاً قليلا ؛ فأبطل الله سبحانه وتعالى في تلك المدعوات التي تُدعى من دون الله أبطل أن تكون تملك شيئا قال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي استقلالاً . هذا الأمر الأول نفاه الله سبحانه وتعالى .

ثَمَّ أمرٌ آخر دونه ؛ إن لم يكن مالكا فإنه يستحق أن يُدعى لو كان شريكاً للمالك ، فأبطل الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ أي الذين يُدعَون من دون الله ﴿فِيهِمَا﴾ أي السماوات والأرض ﴿مِنْ شِرْكٍ﴾ فأبطل الأمر الثاني .

إذاً لا مالك ولا شريكاً للمالك ثمة أمرٌ ثالث إن وُجد استحق من وجد فيه أن يُدعى؛ وهو : أن يكون معيناً للمالك وظهيراً ووزيراً ومشيراً ، فإن وُجد أحدٌ بهذه الصفة استحق أن يدعى لهذا الأمر ، فأبطل الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله: ﴿وَمَا لَهُ﴾ أي الله سبحانه وتعالى ﴿مِنْهُمْ﴾ أي الذين يدعَون من دونه ﴿مِنْ ظَهِيرٍ﴾ أي من عوين ومعين ووزير ؛ فأبطل الله ذلك .

إذاً لا مالك ولا شريكاً للمالك ولا ظهيراً ومعيناً للمالك ؛ انتفت هذه الأمور الثلاثة بقي أمرٌ رابع إن وجد في أحد استحق أن يُدعى وهو : أن يملك الشفاعة الابتدائية عند المالك بدون إذنه ؛ فأبطل الله ذلك بقوله جل

وعلا: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ . فجاءت هذه الآية الكريمة مبطِلةً لكل الأمور التي يتعلق بها المشرك في دعائه لغير الله والتجائه إلى غير الله أبطلت مرتبة حسب الأعلى فما دونه .

نقل رحمه الله تعالى بعد إيراده لهذه الآيات عن أبي العباس وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه قال : ((**نفى الله**)) أي فيه هذه الآية أو في هذا السياق ((**عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره مُلك**)) في قوله ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ .

((**أو قسطٌ منه**)) أي نصيب وحظ ، نفاه في قوله ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ .

((**أو يكون عوناً له**)) وهذا نفاه في قوله ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ .

((**ولم يبق إلا الشفاعة؛ فبيَّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب**)) في قوله ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ .

ثم أورد رحمه الله تعالى آية أخرى وهي قوله : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[الأنبياء:٢٨] ، فالشفاعة لا تكون إلا بإذن الرب جل وعلا ، ولا تكون إلا لمن رضي الله قوله وعمله .

قال رحمه الله : ((**فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة نفاها القرآن**)) الشفاعة التي يظنها المشركون ما هي ؟ أن يتجه الواحد منهم إلى غير الله يسأله ويدعوه ويرجوه وينذر له ويتقرب إليه ويطلب منه ويقول هذا شفيع لي عند الله ، تجده يلجأ إلى غير الله يطلب منه النجاة ، يطلب منه الفوز ، يطلب منه السعادة ، يطلب منه خير الدنيا والآخرة ، إذا قيل ماذا تصنع ؟ قال هذا شفيع لي عند الله . هذا متكأ المشركين في قديم الزمان وحديثه يدعون غير الله ويقولون نحن ندعوهم ليقربونا إلى الله وليكونوا لنا شفعاء عند الله تبارك وتعالى .

قال : ((**فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده– لا يبدأ بالشفاعة أولاً– ثم يقال له : "ارفع رأسك ، وقل تُسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع"**)) ؛ وهذا واضح أن سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه لا يشفع إلا من بعد الإذن ، الإذن في قول الله له «ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع» ، فلا يشفع ابتداء وإنما يشفع بعد أن يأذن له ، ولهذا أيضا جاء في الحديث نفسه قال : ((فيحُدُّ الله لي حدا فأشفع فيهم فيدخلهم الجنة)) ؛ يحد الله حداً يعني الشفاعة لا تكون إلا بالإذن وتكون أيضاً بالحد الذي حدَّه الله وهو من رضي الله عنهم ، من رضي قولهم وعملهم ، ليست لكل أحد وليست نائلةً كل أحد ، ولهذا جاء في صحيح مسلم عن نبينا عليه الصلاة والسلام من حديث أبي هريرة أنه قال : ((لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً

لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) ادَّخرها شفاعة للأمة ، هذه الشفاعة تنال مَن من الأمة ؟ من الذي يكون من أهلها؟ انتبه لبقية الحديث قال : ((وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا)) هكذا قال عليه الصلاة والسلام -والحديث في صحيح مسلم- قال : ((فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ)) هذا قيد بإذنه ، الشفاعة بإذن الله قال : ((فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ)) الأمر بيد الله ومشيئته . ((مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا)) هذا الشرط الثاني وهو من رضي الله قوله وعمله ، ولا يرضى إلا عن أهل التوحيد . قال: ((فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا)) .

مثل هذا الحديث حديث أبي هريرة وهو في صحيح البخاري قال : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ ؟ قال : ((مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)) اشترط في لا إله إلا الله الإخلاص ، أي أن من قالها بدون إخلاص دون توحيد لله تبارك وتعالى لا تنفعه «لا إله إلا الله» مجردةً ، لابد أن تكون صادرة عن إخلاص لله بحيث لا يدعو إلا الله ، لا يستغيث إلا بالله ، لا يطلب المدد والعون إلا من الله ، لا يذبح إلا لله لا ينذر إلا لله، لا يصرف شيئا من العبادة إلا لله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

قال رحمه الله : ((**فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله**)) ؛ تلك الشفاعة أي المثبتة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله .

((**وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أَذن له أن يشفع ليُكرمه وينال المقام المحمود**)) ؛ هي تكون لأهل الإخلاص ، لكن الله سبحانه وتعالى في ذاك المقام يكرم الأنبياء والملائكة والأولياء والمقدَّمين من عباده تبارك وتعالى يكرمهم بأن يشفعوا لهؤلاء ؛ فتظهر كرامة هؤلاء وتظهر منزلة هؤلاء وتظهر مكانة هؤلاء في ذلك اليوم العظيم ، فهي لا تكون إلا بإذن الله للشافع ، وبرضاه سبحانه وتعالى عن المشفوع له .

قال : ((**فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شركٌ**)) بأن يلجأ إلى غير الله دعاءً استغاثةً رجاءً طلباً إلى غير ذلك فهذه نفاها القرآن وأبطلها .

((**ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص**)) . **انتهى كلامه** : أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله :

فيها مسائل ؛ الأولى : تفسير الآيات .

أي الآيات التي تقدمت في الباب ، ومر ما تيسر من تفسيرٍ لتلك الآيات .

الثانية : صفة الشفاعة المنفية .

معنى المنفية : أي التي نفاها الله في القرآن ، فهي شفاعة منفية . والشفاعة المنفية : هي التي تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى ، فكل طلبٍ من هذا القبيل فهو مما أبطله الله تبارك وتعالى في القرآن ونفاه .

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة .

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة وهي التي تُطلب من الله تبارك وتعالى ولها شرطان مر معنا ذكرهما : إذن الله تبارك وتعالى للشافع ، ورضاه سبحانه وتعالى عن المشفوع له .

الرابعة : ذكر الشفاعة الكبرى وهي المقام المحمود .

أي شفاعة نبينا عليه الصلاة والسلام التي خصه الله بها وأكرمه بها ، وإليها الإشارة في قول الله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] . فالشفاعة هي المقام المحمود التي يغبطه عليه النبيون ويغبطه عليه الأولون والآخرون؛ وهي شفاعته عليه الصلاة والسلام لأهل الموقف في أن يبدأ الله سبحانه وتعالى بالحساب ، لأن الناس في ذلك اليوم يقفون يوماً عصيباً ويوماً طويلاً ويوماً عسيراً على أهل الكفر لكنه يسير على أهل الإيمان ، فيقفون موقفاً عصيباً فيأتي الناس إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة فيأتون إلى آدم فيعتذر ويحيلهم إلى نوح ، ويعتذر ويحيلهم إلى إبراهيم ، ويعتذر ويحيلهم إلى موسى ، ويعتذر ويحيلهم إلى عيسى ، ويعتذر ويحيلهم إلى محمد عليه الصلاة والسلام فيقول : ((أنا لها)) ثم يخر ساجداً لله تبارك وتعالى ويحمد الله بمحامد ويثني عليه بثناء يعلِّمه الله سبحانه وتعالى إياه في ذلك الوقت ، ثم يقول الله له : ((ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفَّع)) وحينئذ يأتي الرب سبحانه وتعالى للفصل بين العباد كما قال الله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر:٢٢-٢٣].

الخامسة : صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم ؛ أنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد ، فإذا أُذِن له شفع .

مثل ما مر معنا في الحديث الذي أشار إليه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى قال : أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولا ، ثم يقال له : ارفع رأسك وقل يُسمع وسل تعطه واشفع تشفَّع .

السادسة : من أسعد الناس بها .

من أسعد الناس بها أي الشفاعة ، وجواب ذلك جاء واضحاً في جواب النبي عليه الصلاة والسلام لأبي هريرة رضي الله عنه لما قال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : ((من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه)) .

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله .

وقد مر معنا في حديث أبي هريرة وهو في صحيح مسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((وإنها نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئا)) ؛ فإذاً الذي يشرك بالله شيئاً لا حظَّ له ولا نصيب من تلك الشفاعة .

الثامنة : بيان حقيقتها .

الثامنة وهي المسألة الأخيرة من مسائل هذا الباب بيان حقيقتها أي : حقيقة الشفاعة ، وحقيقتها تقدمت في تمام كلام شيخ الإسلام : أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذِن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود .

سبحانك اللهم وبحمدك ،أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .